

حول دلالة "عَمُرُ" في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي

للدكتور نصرت عبدالرحمن
(الجامعة الأردنية)

آراء سابقة

ترد عَمُرُ (بفتح العين وتسكين الميم) في بعض أساليب العربية فتفيد القسم أو الدعاء: فقد وردت في الشعر الجاهلي، وجاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "قَالَ هُوَآءَ بِنَاتِي إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ"^(١)، وأتت في الأدب الإسلامي شعره ونثره في القديم والحديث.

فما معنى عَمُرُ؟

يقول الجوهري وابن منظور والزبيدي والفيروز آبادي من أصحاب المعجمات: "العمر بالفتح والضم وبضمتين: الحياة. يقال: قد طال عَمْرُه وعُمْرُه لغتان فصيحتان، فإذا أقسموا قالوا: لَعَمْرُكَ، فتحوا لا غير"^(٢).

ويتفق علماء التفسير مع أصحاب المعجمات في دلالة عَمُرُ، ويرون أن (لَعَمْرُكَ) في الآية الكريمة تعني (حياتك)، "فالعمر والعُمُر واحد غير أنه لا يجوز في القسم إلا بالفتح؛ لأن الفتح أخف عليهم، وهم يكثرون القسم بلَعَمْرِي وعَمْرُكَ، فلزموا الأَخْفَ"^(٣). واختلفوا في المقصود بالخطاب: أهو رسول الله صلى الله عليه

(١) الحجر ٧١-٧٣.

(٢) الصحاح ولسان العرب وتاج العروس والقاموس - مادة عمر.

(٣) جامع البيان ١٤: ٣٠، وتفسير غرائب القرآن ١٤: ٣٠، والتفسير الكبير ١٩: ٢٠٣، ومجمع البيان ١٤: ٣٥، وتفسير التبيان ٦: ٣٤٨، والكشاف ٢: ٣٩٦، وجواهر الحسان ٢: ٢٩٧.

وسلم، وأنه تعالى أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد غيره (في رأي ابن عباس رضي الله عنه)، أم هو لوط عليه السلام، أي قالت له الملائكة: لعمرك.

ويذكر أبو الهيثم الرازي أن النحويين ينكرون قول المفسرين، ويقولون: معنى لَعَمْرُكَ: لديك الذي تَعْمُرُ^(١). وينصرف ظني إلى ما ذكره أبو الهيثم بأنه من قبيل الرأي الخاص الذي لا يستغرق جمهور النحويين: فقد ربط سيبويه في باب المصادر التي تنتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره بين (عَمْرُكَ) و(عَمَّرْتُكَ اللهُ)^(٢) مما يَوْمِي إلى أن عمراً عنده تعني العُمُر. وربط المبرد بينهما أيضاً^(٣)، وقال: "والمراد بالعمر التعمير، فالمعنى أقسم بتعميرك الله أي بإقرارك له بالدوام والبقاء"^(٤).

ونلني هذا أيضاً عند أبي علي الفارسي^(٥) والأخفش^(٦) وابن الشجري. قال ابن الشجري: "والعمر بمعنى العُمُر مصدر قولهم عمّر الرجل يعمر إذا امتد بقاءه، ولكنهم لم يستعملوا في القسم إلا المفتوح"^(٧).

وجرى على هذا غيرهم من النحويين كالبيهقي وابن يعيش والسيوطي. قال البيهقي في إعراب بيت المتنخل الهدلي:

لَعَمْرُكَ ما إنَّ أبو مالِكِ
يوانٍ ولا بضعيفٍ قُواه

(١) لسان العرب، وتاج العروس - مادة عمر.

(٢) الكتاب ١: ١٦٢.

(٣) المقتضب ٢: ٣٢٨.

(٤) الأمالي الشجرية ١: ٣٤٩.

(٥) نفسه ١: ٣٤٩.

(٦) لسان العرب وتاج العروس - مادة عمر.

(٧) الأمالي الشجرية: ١: ٣٤٨.

"عَمْرُكَ بالفتح بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف أي قسمي^(١). وقال ابن يعيش:
"والعَمْرُ والعُمُر: البقاء. تقول: بعَمِرَ اللهُ"^(٢). وقال السيوطي: "عَمْرُكَ اللهُ: من عَمِرَ
الرجل بالكسر يَعْمُر، وعمراً بفتح العين وضمها: أي عاش زماناً طويلاً"^(٣).

وثمة رأي لأبي العلاء المعري ساقه ابن الشجري في أماليه، وذكر أنه أخذه
من شرح أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي لشعر أبي الطيب المتنبي. قال ابن
الشجري: "وذهب أبو العلاء المعري في قولهم: عَمْرُكَ اللهُ إلى خلاف ما أجمع
عليه أئمة النحويين: الخليل وسيبويه وأبو الخطاب الأخفش الكبير وأبو الحسن
الأخفش الصغير وأبو عثمان المازني وأبو عمر الجرَمي وأبو العباس محمد بن
يزيد وأبو إسحاق الرِّجَّاج وأبو بكر بن السَّراج وأبو علي الفارسي وأبو سعيد
السيرافي، وغير هؤلاء من المتقدمين والمتأخرين، فزعم أن العَمْر مأخوذ من قولهم:
عمرتُ البيت الحرام إذا زرتَه. وقال: ومنه اشتقاق الاعتمار والعُمرة... قال:
ويحتمل أن يكون عمرك مأخوذاً من عَمَرَتِ الديار من العِمارة أي بعَمْرِكَ المنازل
المشرفة بذكر الله وعبادته"^(٤).

فنحن أمام عدة آراء في دلالة عَمْرُ:

أولها: وأشهرها أن عَمْرًا هي العُمْر.

وثانيها: أن عمراً هي الدين.

وثالثها: أن عَمْرًا تعني الزيارة أو العِمارة.

وعَمْرٌ في هذه الآراء جميعاً مصدر.

(١) الخزانة ٤: ١٤٧.

(٢) شرح المفصل ١: ١٢٠.

(٣) شرح شواهد المغني ٨٨٤.

(٤) الأمالي الشجرية ١: ٣٥٢.

عمر بمعنى رَبِّ

وما أدري لماذا انصرفت أذهان علمائنا الأفذاذ إلى المصدر ولم تتوجه إلى الصفة المشبهة، فعمر من صيغ المصدر والصفة المشبهة، وما دامت قد وردت في معرض القسم فقمين ترجيح الصفة على المصدر. وعَمُر في هذا التوجيه تدل على باقٍ دائمٍ مع الزمان.

أقول: لماذا انصرفت أذهان علمائنا إلى المصدر ولم تحظ المعاني الكثيرة التي أوردها أصحاب المعجمات في مادة عمر بأي اهتمام؟ أتراهم لا يجدون علاقة بين (عَمَرَكَ) والعُمُر بالضم، وهو المسجد والبيعة والكنيسة^(١)، أم لا يجدون صلة بين (عَمَّرَ الله) والعمر بالضم والفتح، وهو النخل السحوق الطويل؟^(٢) أم بين (لعمرى) والدار المعمورة بالجن؟^(٣).

وأقول: ما دامت (عمر) وردت في معرض القسم (وقد تأتي في معرض الدعاء) فقمين ترجيح الصفة على المصدر، وعمر في هذا التوجيه تدل على ربِّ باقٍ دائمٍ مع الزمان، وهذه صفة الباقي الدائم عند المسلم الموحد^(٤)، وصفة الأرياب الأرياب الذين لا يخترمهم الموت عند الجاهلين.

(١) تاج العروس - مادة عمر.

(٢) لسان العرب - مادة عمر.

(٣) لسان العرب - مادة عمر.

(٤) أقول: هي صفة من صفات الله عز وجل وليست من أسمائه تعالى، ولذلك قال الزبيدي في تاج العروس: "ولفضل البقاء على العمر وصف الله تعالى به وقلما وصف بالعمر".

عبد عمرو

عبد عمرو علم من أعلام الرجال في العصر الجاهلي. وهو علم غير مختصّ برجل كان عبداً لسيد اسمه عمرو، وغير مقصور على رجل في قبيلة أو على رجال فيها، بل هو علم يتردد في قبائل متعددة. وما أبتغي أن أتقرى من سُموا بعبد عمرو في الجاهلية، وإنما أروم أن يستذكر القارئ معي نفرأ منهم عرضوا في دروس الأدب والتاريخ: فنستذكر من قريش عبد عمرو بن صيفي النعمان^(١) الذي عرف بأبي عامر الراهب، وكان يناظر أهل الكتاب ويتتبع الرهبان، ويكثر الشخوص إلى الشام. ونستذكر من قريش أيضاً عبد عمرو بن نضلة بن مالك بن سليم بن عُبْشان الذي أورده ابن حبيب في المنمق^(٢)، وعبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف الذي أورده ابن دريد في الاشتقاق^(٣).

ونستذكر من بكر عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد الذي اتصل اسمه في دروس الأدب بطرفة بن العبد، إذ كان من ذوي قرابة طرفة، وزوج أخته الخزنيق في بعض الروايات، وواحداً من خاصة عمرو بن هند، وهو الذي أوقع بطرفة تلك الواقعة التي أودت به، وإياه عنى طرفة إذ قال^(٣):

فيا عَجَباً من عبدِ عمروٍ وبَغِيهِ لقد رامَ ظُلْمِي عبدُ عمروٍ فأنعما
ولا خيرَ فيه أنَّ له غِنَى وأنَّ له كَشْحاً إذا قام أهْضَماً^(٤)

(١) نسب قريش ٢٨١، والاشتقاق ٦٩، والمفصل في تاريخ العرب ٨: ٣٢٣.

(٢) ٢٩٦.

(٣) ٨٨.

(٤) الكشح، الحَصْر. والأهضم والهضم: الضامر.

يَظَلُّ نِسَاءَ الْحَيِّ يَعْكُفَنَّ حَوْلَهُ يَقْلَنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةٍ مَلْهَمًا^(١)

وقد عده ابن حبيب في العرجان الاشراف^(٢).

ونستذكر في طيئ عبد عمرو بن عمّار الطائي^(٣) الخطيب الشاعر، كما ذكر الجاحظ والمرزباني، أو البليغ كما وصفه ابن سعيد في نشوة الطرب. وفي قاتله خلاف بين العلماء. وهو الذي رثاه أبو قُرْدودة الطائي، ومن رثائه:

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَقْرَيْنِ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ
إِن الْمَلُوكَ مَتَى تَنْزَلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطِرُ بِثَوْبِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَّرَةَ

وفي رواية البيت الثاني أقوال كثيرة.

ونستذكر في عامر عبد عمرو بن شُرَيْح بن الأحوص^(٤)، وهو من الشعراء الذين ازوروا عن المنافرة المشهورة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة، فقال:

لَحَى اللَّهَ وَفَدَيْنَا وَمَا ارْتَحَلَا بِهِ مِنْ النَّبْوَةِ الْبَاقِي عَلَيْهِمْ وَبِأَلْهَا
أَلَا إِنَّمَا تُرْمَى صَفَاةً مَتِينَةً أَبِي الضَّيْمِ أَعْلَاهَا وَأَثْبَتَ حَالَهَا

(١) العسيب: الجريدة من النخل استقامت ودقت وكُشِطَ حُوصِهَا. وسرارة ملهم: خير مواضع ملهم وأكرمها. وملهم: جنة نخيل كانت في اليمامة وتردد ذكرها في الشعر الجاهلي.

(٢) المحبر ٣٠٤.

(٣) انظر: أسماء المغتالين ٢٢١ (نوادير المخطوطات)، والبيان والتبيين ١: ٣٦٢، والأغاني ٢٣، ٥٤٠، والاشتقاق ٣٩٥، ومعجم الشعراء، ونشوة الطرب ٦٣٢، وبهجة المجالس ١: ٣٤١. وقد ورد في معجم الشعراء: عمرو بن عمار.

(٤) الأغاني ٢٣: ٣١٩. وانظر قول مروان بن سراقه ٢١٨:

وعبد عمرو منع الفئاما في يوم فخر معلما اعلاما

والفئام: الجماعة من الناس. والمُعَلِّم: الفارس يعارض الفرسان ويضع علامة في المعركة تحدياً.

ونستذكر في كلب بكر بن وائل الكلبي الذي "كان اسمه عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكرة"^(١).

فإذا كان عبد عمرو علماً شائعاً في العصر الجاهلي، وإذا كان العلماء يستدلون بما عبّد من الأعلام الجاهلية على أرباب الجاهليين كعبد شمس وعبد اللات وعبد ودّ وعبد العزّى وعبد مناف وعبد يغوث وعبد الشارق، فهل لي أن أفترض أن عمراً ربّ من الأرباب؟

لا أحتاج إلى عناء كبير كي أدفع عن نفسي هذا الافتراض السانح لأسباب:

أولها: أنه ليس بين أيدينا - بل ليس بين يدي - ما يثبت وجود ربّ مخصوص من أرباب الجاهليين اسمه عمرو. فقد طوّفت ما طوّفت، ورضيت من الغنيمة بالإياب كما يقول الشاعر الجاهلي.

وثانيها: أنه قد تمّ القسم بعمّر في القرآن الكريم، فمحال أن يكون القسم بربّ مخصوص غير الله في القرآن الكريم.

وثالثها: أن عمراً قد وردت مضافة في الشعر الجاهلي. وهذه الإضافة تبعد - ولا تنفي - أن يكون عمرو علماً؛ لأن الأصل في الإضافة أن تجيء للتعريف أو التخصيص، وليس عمرو - إذا كانت علماً - معوزة إليهما. أما أنها لا تنفي فلأن الأعلام قد تضاف في أحوال لا مجال لذكرها الآن، فقد أضاف عمر بن قميئة مثلاً (ودّاً) إلى كاف المخاطبة فقال^(٢):

بودك ما قومي على أن تركتهم سلّمي إذا هبت شمالاً وريحها

(١) الإصابة ١: ١٦٣ (ترجمة ٧٢٣).

(٢) الديوان ٢٣.

وَوَدَّ اسْمَ أَحَدِ أَرْيَابِ الْجَاهِلِيِّينَ كَمَا تَعْرِفُ.

يمكن أن تكون عَمْرٌ في عبد عمرو بمعنى (رَبِّ) ولا يمكن أن يكون معناها العُمْرُ - بضم العين - كما قال علماءنا.

ولكن يشغب على هذا الإمكان أمران:

أولهما: أن اسم عمرو من أسماء الرجال في الجاهلية والإسلام، وهو علم يفوق عبد عمرو عدداً. فأنتى لعمر أن تكون بمعنى ربّ وأن تكون علماً من أعلام الرجال؟

وثانيها: أن القرآن الكريم لم يورد العُمْر من أسماء الله عز وجل. وهذا الاعتراض مشاكه الاعتراض على رأي ابن الشجري في (قَعْدَكَ أَنْ لَا تَفْعَلْ كَذَا) و(قَعِيدَكَ أَنْ لَا تَقُومَ) و(قَعْدَكَ اللَّهَ) و(قَعِيدَكَ اللَّهَ) إذ قال: "معنى القَعْد والقَعِيد: الرقيب الحفيظ من قوله تعالى * عن اليمين وعن الشمال قَعِيد*^(١) أي رقيب حفيظ. فِقَعْدٌ وَقَعِيدٌ فِي هَذَا الْقَوْلِ كَخَلٌّ وَخَلِيلٌ وَنَدٌّ وَنَدِيدٌ وَشِبَّةٌ وَشَبِيهٌ. فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهَمَا مِنْ صِفَاتِ الْقَدِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ الرَّقِيبُ الْحَفِيزُ. فَإِذَا قُلْتَ: قَعْدَكَ اللَّهَ وَقَعِيدَكَ اللَّهَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى نَصَبْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَى الْبَدَلِ"^(٢).

ويمكن الرد على الاعتراض الأول بالقول: إن كلمة (رَبِّ) قد أتت في العربية دالة على رب معبود وعلى إنسان، كما نرى مثلاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَاأَيُّهَا طَعَامٌ تُزْرَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ ذَلِكَ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣)، وبعد هذه الآية الكريمة بأربع

(١) ق ١٧.

(٢) الأمالي الشجرية ١: ٣٥٣.

(٣) يوسف ٣٧.

آيات قال تعالى: ﴿وقال للذي ظنّ أنه ناجٍ منهما اذْكُرْني عند ربِّكَ فأَنسأهُ ذِكْرَ ربِّهِ فلبثَ في السِّجْنِ بِضْعَ سَنِينِ﴾^(١).

وقال النابغة الذبياني^(٢):

تَحُبُّ إلى النعمانِ حتى تَنأَلُهُ فِدَى لَكَ من رَبِّ طَريفِي وتَالِدِي^(٣)

فقد وردت (رَبِّ) في الآية الأولى لله المعبود، ووردت في الثانية للإنسان، ووردت في بيت النابغة للإنسان أيضاً. وهذه مسألة منكشفة لا يجمل التلبّث معها.

والاشتراك في الأسماء بين المعبود والعابد قائم في الجاهلية والإسلام. ألا ترى إلى الجاهليين قد تَسَمَّوا بَقَيْسٍ وَهُبَلٍ وَتَسَمَّوا بَعْدَ قَيْسٍ وَعَبْدَ هُبَلٍ، وقَيْسٍ وَهُبَلٍ من أربابهم؟ ثم ألا ترى إلى المسلمين قد تَسَمَّوا بِمَجِيدٍ وَعَبْدَ المَجِيدِ، بل ألا ترى إلى الخليفة العباسي موسى ابن الخليفة المهدي كيف تلقب بالهادي، فغاب الاسم وشاع اللقب.

ويمكن الرد على الاعتراض الثاني بالقول: لقد فرّق القرآن الكريم بين صفات الله وصفات الخلق بإدخال (أل) التعريف على صفات الله وحذفها في صفات الخلق، فالله هو العزيز الجبار الرحمن الرحيم، أما الإنسان فعزيز وجبار ورحمان ورحيم.

وهذه الصفات المخصوصة لله تعالى هي أسماء له عزّ وعلا، أما الصفات المرادفة لها التي لم يرد فيها نص فليست من أسمائه: فكلمة (خالد) مثلاً تعني باقياً دائماً^(٤)، فالباقي هو الله، والدائم هو الله، والخالد ليست من أسماء الله على الرغم من أن معناها الباقي الدائم.

(١) يوسف ٤٢.

(٢) الديوان ١٤٠.

(٣) الطريف: المال الجديد المكتسب. والتالد: المال الموروث عن الآباء.

(٤) المحيط - مادة خلد.

وإذا كان يمكن أن تعني عَمْرٌ في عبد عمرو رَبّاً، فإن هذا الإمكان يتعلق بصفة مرتبطة بالزمان. فهل يمكن أن ترتبط بالمكان أي أن تعني بيتاً معموراً؟ يمكن أن نفترض هذا الافتراض؛ لأن بعض الجاهليين يسمون عبد الكعبة^(١)، وبذلك لا يكون عبد عمرو عبداً لرب بل عبداً لبيت ربّ.

ويعترض هذا الافتراض أمران:

أولهما: أن عمراً قد جاءت في عبد عَمْرُو بفتح العين، وإذا كانت بمعنى البيت تجيء بضمها كما ذكر أصحاب المعاجم. وثانيهما: أن عمراً قد جاءت نكرة، ولو صح هذا الافتراض لجاءت عبد عمرو عبد العَمْرُ أو عبد العُمْر.

ويمكن أن يرد على الاعتراض الأول بأن ورود عُمْر بضم العين للدلالة على لمكان لا ينفي جواز فتح العين كبيت وَوَكْر وَبَحْر، وغيرها كثير.

٤

عَمْرٌ مضافة إلى ضمير في الشعر الجاهلي

ترد عَمْرٌ في الشعر الجاهلي مضافة إلى ضمير المتكلم كقول النابغة^(٢):

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الْحَيُّ صَبَحَ سِرِينَا وَأَبْيَاتَنَا يَوْمًا بَدَاتِ الْمَرَاوِدِ

(١) كعبد الكعبة بن عبد المطلب، انظر نشوة الطرب ٣٢٤.
(٢) الديوان ١٣٨، وانظر ص ٣٤، وديوان امرئ القيس ١١٢، ١١٣، ٣٠٩، وديوان الحطيئة ٨، ٢٤، ٢٤٧، ٣٢٠، ٣٣٢، وديوان الأعشى ١٤٩، وديوان أوس بن حجر ١١٨، وديوان قيس بن الخطيم ١٢٧، وديوان المتلمس ٢٣٥، وديوان عروة بن الورد ٩٥، والمفضليات (شعر متمم بن نويرة) ٢٦٥، ٢٧٢، و(شعر عبد المسيح بن عسلة العبيدي) ٣٠٤، وديوان الهذليين (شعر أبي ذؤيب) ١: ١٤١، وشعراء النصرانية (شعر الحارث بن عباد) ٢٧٢، و(شعر كعب بن سعد الغنوي) ٧٤٦، ٧٤٩.

وترد مضافة إلى ضمير المخاطب أو المخاطبين كقول زهير بن أبي سلمى^(١):

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مُغَيَّرَاتٌ وَفِي طُولِ الْمَعَاشِرَةِ التَّقَالِي

وكقول هُنَيِّ بنِ أَحْمَرَ الضَّمْرِي^(٢):

هَذَا لَعَمْرُكُمْ الصَّغَارُ بَعَيْنِهِ لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ وَلَا أَبُ

ولم أجد فيما استقرت من نصوص إضافتها إلى ضمائر الغائب. وما أدري إن كان الجاهليون لا يضيفونها إلى الغائب أو أن هذا نقص في الاستقراء. وأجدني مع الطرف الأول أميل؛ لأنني قد استقرت جُلّ دواوين الشعراء الجاهليين فلم أجد فيها إضافة عمر إلى الغائب!

وتلفت في القسم بعمّر في هذا الموضع عدة أمور:

(١) الديوان ٣٤٢، وانظر ص ٣٦١، وديوان امرئ القيس ١١٢، وديوان الأعشى ١٥، ٦٥، ٨٣، ٢٦١، وديوان بشر بن أبي خازم ١١٥، ١٣١، وديوان طرفة بن العبد ٥٣، ٦٤ (المعلقة)، ١٧٨، ١٨٠، ٢٢٨، وديوان عبيد بن الأبرص ٥٤، ٧٨، وديوان الحطيئة ٦٢، ٦٨، ١٠٩، ١١٧، وديوان أوس بن حجر ٢٦، ٣٢، ٤٩، ٦١، وديوان عمرو بن قميئة ٦، وديوان الحادرة ٣٠٠ وديوان النابغة ١١٢، والمفضليات (شعر أفنون التغلبي) ٢٦١ و(شعر الحارث بن ظالم) ٣١٥، و(شعر الحارث بن ظالم) ٣١٥، وديوان الهذليين (شعر أبي ذؤيب الهذلي) ١: ٣٥، ٩٢ و(شعر ساعدة بن جؤية) ٢: ٢١٨، و(شعر أبي خراش الهذلي) ٢: ١٧١، و(شعر صخر الغي) ٢: ٦٢ و(شعر المتخزل الهذلي) ٢: ٢٩، وشعراء النصرانية (شعر أفنون التغلبي) ١٩٣، ١٩٤ و(شعر ذي الاصبغ العدواني) ٦٣٧ و(شعر الحصين بن الحمام المري) ٧٤٢.

(٢) نشوة الطرب ٣٨٣.

أولهما: أن الشاعر الجاهلي يقسم بعمر - في الغالب - فيما يجلّ من الأمور، وهذا يفرض أو يستتبع جلال المقسم به.

وقد نص النابغة الذبياني أن عمره غير هين عليه حيث قال^(١):

لَعَمْرِي، وما عَمْرِي عليّ بهيّنٍ لقد نَطَقْتُ بُطْلاً عليّ الأَفَارِعُ

وما إخال أن عمر الشاعر - إذا أخذنا رأي العلماء - الذي يكثر الشعراء الجاهليون من التفدي به وبعمر آبائهم وأجدادهم - فدتك نفسي، وفداك أبي وجدّي - من القسم العظيم.

فأحر بهذا القسم أن يكون برّب الشاعر غير الهين عليه.؟؟

وثانيهما: أن القسم بعمر يكثر في الحكمة المرتبطة بالموت وطوارق الأيام وحدثانها، كقول أبي ذؤيب الهذلي^(٢):

لعمركَ والمنايا غالباتٌ لكلّ بني أبٍ منها ذنوبٌ^(١)

وكقول طرفة بن العبد^(٣):

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لكا لَطُولِ المُرْحَى وثِناهُ باليَدِ^(٢)

(١) الذنوب: الدلو العظيمة.

(٢) من المعلقة.

(٣) الطول: الحبل تربط به الدابة، أحد طرفيه في الوجد وثانيه في يدها.

فأخلقُ بهذا القسم أن يكون بربِّ يملك الموت والحياة من أن يكون بالعمُر، إلا إذا جاء القسم بالعمُر فباله الموت من قبيل نعي الذات أو من قبيل الطباق الساخر.

وثالثها: أن القسم بعمُر يأتي أوثناً في معرض الهجاء وأن ضمير الخطاب يرتد إلى المهجو كقول الأعشى في هجاء الحارث بن وعلّة بن مُجالد الرقاشي: (١)

لعمرك ما اشبهت وعلّة في الندى شمائله ولا أباه المُجالدا

فكيف يستقيم أن يقسم الأعشى بعمُر من يهجو؟

ورابعها: أن عدم إضافة عمُر إلى ضمير الغائب فيما استقرت من نصوص جاهلية يبعد أن تعني عمُر العمُر وبدني (رباً)، فضمير الغائب قد يعود في العربية إلى الله ضمناً، كقولنا: نحمده ونشكره، فنفهم ضمناً أن الضمير يعود إلى الله، وكالأسماء عبده، وسعده وعزه، فكان الشاعر الجاهلي قد خشي من أن يلتبس ضمير الغائب إذا قال: (لعمُرُه) بين الغائب المعبود والغائب العابد.

وهذا تعليل يحتاج إلى تمحيص!

(١) الديوان ٦٥.

() الديوان ٢٠٩.

عَمْرُ مِضَافَةٌ إِلَى اسْمٍ غَيْرِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ

وترد عَمْرٌ فِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ مَسْبُوقَةٌ بِاللَّامِ وَمِضَافَةٌ إِلَى اسْمٍ: الْأَبُ (لِعَمْرِ أَبِيكَ) عِنْدَ زَهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ^(١) وَعَبْدِ قَيْسِ بْنِ خُفَّافٍ^(٢) وَالنَّمْرِ بْنِ تَوَلِّبٍ^(٣) وَقَبِيصَةَ بْنِ النَّصْرَانِيِّ^(٤).

وَالجِدُّ (لِعَمْرِ جَدِّكَ) عِنْدَ الْأَعْشَى^(٥)، وَالْعَلَمُ (لِعَمْرِ أَبِي عَمْرٍو) عِنْدَ صَخْرِ الْعَيِّ^(٦) وَاسْمُ مَعْرَفٍ (لِعَمْرِ الْبَاكِيَّاتِ) عِنْدَ الْحُصَيْنِ بْنِ الْحَمَامِ^(٧)، وَالطَّيْرُ (لِعَمْرِ أَبِي الطَّيْرِ) عِنْدَ أَبِي خِرَاشِ الْهَذَلِيِّ^(٨)، وَالْقَدَرُ (لِعَمْرِ مَا قَدَرَ) عِنْدَ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ^(٩).

وَتَلَفَّتْ فِي الْقِسْمِ بِعَمْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِدَّةُ أُمُورٍ:

أولها: الْقِسْمُ بِعَمْرِ الْأَمْوَاتِ فِي قَوْلِ صَخْرِ الْعَيِّ الْهَذَلِيِّ:

لِعَمْرِ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَا إِلَى جَدَّتِ يُوزِي لَهُ بِالْأَهَاضِبِ

وَأَحْرَ بِهَذَا الْقِسْمِ أَنْ يَكُونَ بَرَبَّ أَبِي عَمْرٍو وَليْسَ إِلَى عَمْرِ أَبِي عَمْرٍو.

وثانيها: الْقِسْمُ بِالطَّيْرِ فِي قَوْلِ أَبِي خِرَاشِ الْهَذَلِيِّ:

لِعَمْرِ أَبِي الطَّيْرِ الْمَرِيَّةِ بِالضُّحَى عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعَنَ عَلَى لَحْمٍ^(١٠)

فَهَذَا الْقِسْمُ يَدْفَعُ أَيَّ عِلَاقَةٍ بَيْنَ عَمْرِ وَالْعَمْرِ، فَلَا يَقْبَلُ أَنْ يَقْسِمَ أَبُو خِرَاشِ بِعَمْرِ أَبِي الطَّيْرِ الَّتِي أَقَامَتْ عَلَى جَدَّتِ خَالِدٍ تَتَوَشَّحُ لَحْمَهُ. قَدْ يَقَالُ: وَمَاذَا فِي ذَلِكَ؟ أَلَا تَرَى إِلَى الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ يَتَغَنَّى بِالطَّيْرِ الَّتِي تَسْقُطُ عَلَى الْقَتْلِ؟ بَلْ أَلَا تَرَى إِلَى النَّابِغَةِ الذَّبْيَانِيِّ كَيْفَ جَعَلَ الطَّيْرَ فَوْقَ جَيْشِ

الحارث الجفنيّ تخلق عصائبَ إثر عصائب، وكيف جعلها من
الضاريات الدوارب بالدماء، فقال^(١):

ذا ما غَزُوا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
يُصَاحِبِنَهُمْ حَتَّى يُغْرَنَ مُغَارَهُمْ مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ

فأقول: شتان ما هما، فالنابغة يتحدث عن طير تنوش لحم أعداء ممدوحه
وأبو خراش يتحدث عن طير تربّ على لحم ابن عمه، فهذا يمدح وذاك
يرثي. ولو أن أبا خراش يحلف بعُمر أبي الطير لحر رثاؤه تشفياً وليس
حزناً وحسرة.

وثالثها: القسم بالقدر في قول أوس بن حجر:

لَعُمْرُ مَا قَدَرَ أَجْدَى بِمَصْرَعِهِ

لقد أخلّ بعرشي أيّ إخلال

فقد أضاف أوس (عُمراً) إلى القدر. فأيّ قسم بعُمر القدر إذا أخذنا برأي
علمائنا؟ وهل انتقل العرب في العصر الجاهلي من القسم بعُمر الإنسان إلى القسم
بعُمر الزمان، فأضافوا زماناً إلى زمان؟

لا إخال إلا أن صخر الغيّ الهذلي قد أقسم بربّ أبي عمرو صاحب الآجال،
وإلا أن أبا خراش قد أقسم بربّ أبي الطير - وما أدري إذا كان أبو خراش الوثني
يعتقد أن للطير رباً مخصوصاً - وكذلك لا أعتقد إلا أن أوس بن حجر قد أقسم
بربّ القدر وليس بعُمر القدر.

عُمر مضافة إلى اسم الجلالة

(١) الديوان ٤٢-٤٣.

وترد عَمْرُ مضافة إلى اسم الجلالة تصريحاً أو كناية غير متصلة باللام،
كقول عروة بن الورد^(١):

قَعِيدَكَ عَمْرَ اللّهِ هَلْ تَعْلَمِينِنِي كَرِيمًا إِذَا اسْوَدَّ الْإِنَامِلُ أَزْهَرَا

أو متصلة بها، كقول الأعشى^(٢):

فَلَعَمْرُ مَنْ جَعَلَ الشُّهُورَ عِلَامَةً قَدْرًا فَبَيَّنَ نَصْفَهَا وَهَلَالَهَا

وكقوله^(٣):

إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي خَطَّتْ مَنَاسِمُهَا تَخْذِي وَسِيقَ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْعُيْلُ^(٤)

وكقوله^(٥):

لَعَمْرُ الَّذِي حَجَّتْ قَرِيشَ قَطِينِهِ لَقَدْ كَدَّتْهُمْ كَيْدَ امْرِئٍ غَيْرِ مُسْنَدٍ

وكقول الحطيئة^(٦):

إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي يَسْرِي لِكَعْبَتِهِ عُظْمُ الْحَجِيحِ لِمِيقَاتِ يُوَأْفِيهَا

(١) الديوان ٦٤.

(٢) الديوان ٣١.

(٣) الديوان ٦٣.

(٤) المناسم: جمع المنسم، وهو طرف خف البعير. وتخذي: من الوخد، وهو خطو الإبل الواسع السريع. والباقر: قطع البقر. والغيل: الممتلئات السمان.

(٥) الديوان ١٩١.

(٦) الديوان ٢٠٣.

أو متصلة بـ (لا) كقول النابغة الذبياني^(١):

فلا عَمْرُ الذي أَثني عليه وما رَفَعَ الحجيجَ إلى إلال^(٢)

أو متصلة باللام ولا، كقول النابغة أيضاً^(٣):

فلا لَعَمْرُ الذي مَسَّحتْ كعبتهُ وما هُرِّيقَ على الأنصابِ من جَسَدِ

أو متصلة باللام و(ها)، كقول زهير بن أبي سلمى^(٤):

تَعَلَّماها لَعَمْرُ اللهَ ذا قسما فاقصِدْ بِذَرَعِكَ فانظر أين تَسْلكُ

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قول الرجل في القسم: لَعَمْرُ الله^(٥). وعَلَّ الزبيدي هذا بقوله: لأن المراد بالعمْر عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء وهذا لا يليق بالله جلَّ شأنه وتعالى علواً كبيراً^(٦).

واعترف أن عمراً هنا لا يمكن أن تكون بمعنى (رب)، وهو المعنى الذي جاز فيما سبق من الأساليب، ولا يمكن أن تكون بمعنى العمْر.

(١) الديوان ١٥١.

(٢) الإلال: قبل هو جبل عرفة.

(٣) الديوان ٢٥.

(٤) الديوان ١٨٢.

(٥) البخاري، إيمان ١٣.

(٦) تاج العروس - مادة عمر.

وأتحول في هذا الموضع إلى معنى قد سقته قبل، وهو (بيت)، فيكون القسم بعمُر الله قسماً ببيت الله.

ويعزز هذا المعنى كثرة الحديث عن الحج في هذا الموضع، كما رأينا في أبيات الأعشى والحطيئة والنابغة الذبياني.

عمرك الله

هذا أسلوب قد مخضه النحويون مخضاً شديداً، ونظروا في نصب عمُر في عمرك، ونصب لفظ الجلالة، ولهم في ذلك آراء قد أجملها ابن الشجري في أماليه.

وأستمح القارئ عذراً إذا اقتبست نصاً طويلاً لأبي علي الفارسي من أمالي ابن الشجري، فهذا المقتبس يظهر مبلغ العنت في جعل عمُر بمعنى تعمير.

"وقال أبو علي: عمرك الله مصدر استعملوه بحذف الزوائد... وأصله بالزيادة تعميرك الله. ألا ترى أن الفعل لما ظهر كان على فعلت في قولك * عمرك الله إلا ما ذكرت لنا*^(١)، والأصل فيه: (عمرك الله تعميراً مثل تعميرك إياه نفسك)، أي: سألت الله تعميرك مثل سؤالك إياه تعمير نفسك. فالتعمير الأول مضاف إلى الفاعل يعني الكاف. قال: الاسمان الآخران مفعول بهما يعني إياه نفسك. قال: ثم اختصر هذا الكلام، وحذفت زوائد المصدر"^(٢).

وقد أحس ابن الشجري استغلاق رأي أبي علي، فقال شارحاً إياه: "ويجب أن ترعى قلبك ما أقوله في تفسير قول أبي علي، وذلك أن الأصل كما ذكر (عمرك

(١) للأحوص، وعجزه * هل كنت جارتنا أيام ذي سلم*، انظر شعر الأحوص ١٥٠. وهو من شواهد سيوبه، وورد منسوباً إلى الأحوص في أمالي ابن الشجري ١: ٣٤٩، وجاء في المقتضب ٢: ٣٢٩ من غير نسبة.

(٢) ١: ٣٥٠.

اللهَ تَعْمِيراً مِثْلَ تَعْمِيرِكَ إِيَاهُ نَفْسِكَ) فحذفوا الفعل والفاعل والمفعولين، فبقي (تَعْمِيراً) مثل تَعْمِيرِكَ إِيَاهُ نَفْسِكَ)، ثم حذفوا الموصوف الذي هو (تعميراً) وقامت صفته التي هي (مثل) مقامه، فبقي (تَعْمِيرِكَ إِيَاهُ نَفْسِكَ، ثم حذفوا زوائد المصدر، فبقي (عَمَرِكَ إِيَاهُ نَفْسِكَ)، فوضع الظاهر في موضع المضمر، أعني وضعوا لفظة (الله) موضع (إياه)، فصار (عَمَرِكَ اللهُ نَفْسِكَ)، فحذفوا المفعول الثاني، فبقي (عَمَرِكَ اللهُ)"(١).

وقد كفاني النحويون أنفسهم مؤونة الاستدلال على أن عَمراً في هذا الموضع تعني (رباً)، وذلك في شاهد ذكر السيوطي أنه لمؤبال بن جهم المدحجي أو لمبشر ابن الهديل الفزاري^(٢)، وهو:

ألم تعلمي يا عَمَرِكَ اللهُ أنني

كريمٌ على حين الكرامِ قليلٌ

وَأَنِّي لَا أُحْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ

سَخِيٌّ وَأُحْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلٌ

والشاهد عند النحويين في (حين) الظرف المبهم عندما يضاف إلى جملة اسمية، وليس في (يا عَمَرِكَ اللهُ) التي يظهر فيها حرف النداء قبل (عمرِكَ اللهُ).

ولذا أجدني محتاجاً إلى تقدير (يا) قبل (عَمَرِكَ اللهُ) في قول المرقش الأصغر^(٣):

(١) ١ : ٣٥٠.

(٢) شرح شواهد المغني ٨٨٤.

(٣) الفضليات ٢٤٩.

فَعَمْرَكَ اللَّهُ هَلْ تَدْرِي إِذَا

مَا لُمْتَ فِي حُبِّهَا فِيمَ تَلُومَ

فالله عز و علا هو ربّ صاحبة مَؤَيَال و ربّ صاحب المرقش، والكلام نداء معترض جاء مفيداً الدعاء.

و خلاصة القول أن عَمْرًا في الشعر الجاهلي تدل على (ربّ) إذا أضيفت إلى ضمير أو إلى اسم غير لفظ الجلالة أو جاءت في أسلوب (عَمْرَكَ الله)، وتدل على (بيت) إذا أضيفت إلى اسم الجلالة لفظاً أو كناية.

المصادر والمراجع

- أسماء المغتالين لابن حبيب (نوادير المخطوطات ٦)، تحقيق عبدالسلام هارون، البايع الحلبى، القاهرة، ١٩٧٣م.
- الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٩م.
- الإصابة فى تمىيز الصحابة لابن حجر، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- الأغانى لابن فرج الأصبهانى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧م.
- الأمالى الشجرىة لابن الشجرى، دار المعارف العثمانىة، حىدر آباء، ١٣٤٩هـ.
- بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبدالبر، تحقيق محمد مرسى الخولى، دار الكاتب العربى، القاهرة، ؟
- البىان والتبىين للجاحظ، تحقيق حسن السندوبى، المكتبة التجارىة، القاهرة، ١٩٥٦م.
- تاج العروس للزبىدى، دار لىبىيا، بنغازى، ؟
- تفسير التبىان للطوسى، دار الأندلس، بيروت، ؟
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمى النىسابورى (على هامش جامع البىان)، بولاق، ١٣٢٧هـ.
- التفسىر الكبىر للفخر الرازى، المطبعة البهىة، القاهرة، ١٣٥٧هـ.
- جامع البىان فى تفسير القرآن للطبرى، بولاق، ١٣٢٧هـ.
- جواهر الحسان فى تفسير القرآن للطوسى، مؤسسه الأعلمى، بيروت، ؟
- خزانه الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى، تحقيق عبدالسلام هارون، الهيئة المصرىة العامة، القاهرة، ١٩٧٩م.
- دىوان الأحوص الأنصارى، جمع عادل سلیمان جمال وتحقیقه، الهيئة المصرىة العامة، القاهرة، ١٩٧٧م.

- ديوان الأعشى الكبير، شرح محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٥، ١٩٥٠م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.
- ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢م.
- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٨م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة ثعلب، دار الكتب المصرية، ١٩٤٤م.
- ديوان سلامة بن جندل، رواية الأصمعي وأبي عمرو الشيباني، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨م.
- ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، تحقيق عبدالمعين الملوحى، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٦م.
- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.
- ديوان شعر الحادرة، تحقيق ناصر الدين الأسد، مجلة معهد المخطوطات، المجلد ١٥، ١٩٦٩م.
- ديوان شعر المتلمس الضبعي، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ديوان شعر المثقب العبدى، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧١م.

- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧م.
- ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ديوان عنتر، تحقيق محمد سعيد مولي، المكتب الإسلامي، ١٩٧٠م.
- ديوان ليبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس، وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٢م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ديوان الهذليين، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- شرح شواهد المغني للسيوطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟
- شرح المفصل لابن يعيش، المطبعة المنيرية، القاهرة، ؟
- شعر تأبط شراً، صنعة سلمان داود القره غولي وجبار تعبان جاسم، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٣م.
- شعر عبدة بن الطبيب، صنعة يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، ١٩٧١م.
- شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي، جمع مطاع الطرابيشي وتحقيقه، دمشق، ١٩٧٤م.
- شعر النمر بن تولى، صنعة نوري حمودي القيسي، المعارف، بغداد، ؟
- شعراء النصرانية قبل الإسلام للويس شيخو، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٧م.
- الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م.
- صحيح البخاري بحاشية السندي، البابي الحلبي، القاهرة، ؟

- القاموس المحيط للفيروز آبادي، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢م.
- الكتاب لسبيويه، بولاق، ١٣١٦هـ.
- الكشف للزمخشري، البابي الحلبي، القاهرة، ؟
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٠٨هـ.
- المحبر لابن حبيب، تحقيق ايلزه ليختن ستيتز، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٤٢م.
- معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦م.
- المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢م.
- المقتضب للمبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- المنمق في أخبار قريش لابن حبيب، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٤م.
- نسب قريش للمصعب الزبيرى، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي، تحقيق نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.